لدغة العقرب

زهيرة البيلى

نامت المدينة الاسترالية الصغيرة فى هدوء واستعد الطيب مثل كل الناس للذهاب الى فراشه فى الساعة الحادية عشرة مساء . ولكنه عندما هم بخلع جلبابه دق جرس التليفون الذى اعتبر فى هذه الساعة بالذات اعتداء حقيقيا على إنسان يريد أن يخلد إلى نومه فى هدوء

كان المتحدث هو أحد أصدقائه القدامى استنجد به على الفور ليفقد زوجته التى تحتضر وفهم الطبيب أن فى مثل هذه المواقف لافائدة من السؤال عن التفاصيل لذلك اكتفى بكلمة واحدة سأحضر على الفور .

وبعد عدة دقائق وقفت سيارة الطبيب أمام الفيلا الفاخرة والمبنية بنظام الأعمدة على الطراز الفكتورى ولم يسعث الضوء إلا من نافذة واحدة هى حجرة نوم الزوجة ومن إحدى الفتحات خرج الزوج وبمجرد أن لمح الطبيب قال له

بسرعة يجب أن تنقذها !

احتى الزوج وسمع الطبيب صوت خطواته وهو يعدو بسرعة داخل البهو الواسع ليفتح الباب وبدا الزوج شاحب الوجه وجهه الدائرى عكس توترا يبعث على الشفقة وعيناه الزرقاوان جاحظتان وشعره الأسود المنسوح تطاير تماما وأحد الزوج يرتعش وهو يجذب الطبيب من يده لكى يسرع لإنقاذ زوجه وقبل أن يفوت الأوان دخ الطبيب الزوجة وسط الملاءات وكانت امرأة جميلة معتدلة العين جسدها متصلب تماما داخل قميص نوم فاخر وعندما وضع الطبيب اذنه على الصدر الصلب لاحظ أنها لا تتحرك فأخذ يقيس النبض . أما الزوج فوقف بجانبه وأخذ يردد إنه العقرب

فبض الطبيب فى دهشة عندما أشار الزوج إلى لدى زوجته بأصبع مرتعشة وهو يقول إنى متأكد أنه العقرب . انظر ها تحت الندى فلاحظ الطبيب العلامة التى أشار اليها الزوج وكانت بالفعل لدغة صغيرة ولكن الطبيب أسرع بسؤاله وكيف عرفت أنها لدغة عقرب ؟ رد الزوج على الفور بأنه قد قتل الحشرة بنفسه وألقى بها على الأرض وأشار إلى كومة صغيرة منديه لاشكل فما وقطب الطبيب جبينه تاركا ذراع الزوجة كم من الوقت مر على هذه اللدغة ؟ فأكد الزوج أنه لا يعرف لكنه عندما عاد من الخارج وجدها جامدة بلا حراك فأخذ يخلع ملاءات السرير وعثر على العقرب وقتلها ولكن بعد أن فارقت زوجته الحياة وها فقط قام باستدعاء صديقه الطبيب

كانت الزوجة قد ذهبت إلى فراشها فى الساعة العاشرة بعد أن تناولت الأقراص المنومة مع كوب من الشيكولاته الدافئة كما اعتادت كل مساء

أما الزوج فكان على موعد مع أحد العملاء . الشئ الذى اضطره للذهاب خارج المنزل لمدة ساعة

توقف الزوج فجأة عن الكلام وأخذ ينظر لصديقه الطبيب كما لو كان يفهم ما يدور فى نفسه وها قال له الطبيب لافائدة لقد انتهى كل شئ لقد فارقت الحياة منذ ساعة تقريبا

بعد أن مرت ثلاثة أسابيع على وفاة الزوجة تسلل رجل يرتدى الملابس البيضاء وسط الساعات الشوكية الكثيفة المحيطة بتلك الفيلا الأنيقة وقد احتفظ فى جيب سترته بمسدس عيار ٢٥ لم يكن أحد يعلم أنه يملك هذا السلاح من سرقه منذ عدة سنوات من سيدنى . هذا السلاح الذى لن يستخدمه إلا هذا المساء لأول مرة وصعد رجل جرؤ على مساومته ارتقى الرجل الأبيض التل وأخذ يردد لم ينجح أحد فى خداعى أبدا . لن يحدث هذا اليوم وعندما هبط الرجل الأبيض إلى الجانب الآخر من التل كان فى انتظاره أحد السود وكان يرتدى ملابس ميكانيكى خرج توا من وسط الأشجار الكثيفة

وبعد أن تأكد الرجل الأبيض أن الرجل بمفرده قال له إن هذه المسألة لا تخص أحدا غيرنا فأجابه الرجل

الاسود إنه اضطر لذلك لأنه فى حاجة الى المال والماء هذا الحديث القصير وضع الرجل الأبيض يده فى جيبه وبسبب الظلام لم يدرك الرجل الأسود على الفور أنه سوف يخرج مسدسا فتلقى أول طلقة فى صدره لكنه لم يفارق الحياة وظل يترنح حتى فاجأه الرجل الأبيض بطلقتين فى الرأس ثم ترك الجثة وسط الخشائش الكثيفة وذهب راضيا تماما مقتنعا أنه لن يتمكن أحد من اكتشاف جريمته وشعر بالرضا معتقدا أنه حل مشاكله على أكمل وجه

وبعد سنتين وفى فيلا فى كندا وبالقرب من سلسلة الجبال الصخرية بدت الدهشة على مجموعة من الخامين السان لأن زميلهم وبيدا لم يصل كما اعتادت للقضاء عطلة نهاية الأسبوع وكانت فتاة سمراء حسناء من اصل استرالى

وعندما بلغت الساعة الحادية عشرة ولم تصل الفتاة خاصة أنه لم يرد أحد على تليفون منزلها . ذلك الشئ الذى لم يحدث من قبل حتى إنها إذا غابت عن زملائها أخبرتهم بذلك مسبقا . لذلك قاموا بالاتصال بجيرانها الذين عبروا بدورهم عند مدبرة المنزل على مفتاح إضافى للشقة وبعد خطوات اتصلت مدبرة المنزل بمجموعة الخامين قالت لقد فارقت وبيدا الحياة وتم العثور عليها فى سريرها جامدة بعد أن هربت الدماء من جسدها كله ولم تعد تتنفس حتى عندما تم استدعاء الطبيب كان الوقت قد فات

وقد وصل المأمور إلى منزل القتيلة بعد أن أنهى الطبيب بالخادمة وكان الطبيب رجلا قصيرا دقيقا . وجهه بارد يرتدى نظارة سميكة أخذ ينظر لرجل البوليس بشاربه الكثيف الخشن الذى كشف عن ابتسامة ساخرة وقاد الطبيب المأمور إلى غرفة نوم القتيلة حيث يرقد وسط الملاءات جسد امرأة بدت عارية تماما وأشار الطبيب إلى الجسد الأبيض حيث بدا جرح صغير بنفسجى اللون ثم قال إنها تشبه اللدغة . أخذ المأمور ينظر حوله داخل الحجرة الهادئة الأنيقة التى تليق بالدور التاسع فى واحد من أفخم المبانى العارقة وسط الجليد وبعد أن انتهت المصور معدداته قام بتصوير الجثة بينما قام أحد رجال البوليس برفع البصمات وعندما بدأ التحقيق الروتينى انتفض الجميع عندما سمعوا صوت مفتاح يدور فى الباب ليدخل رجل إلى غرفة النوم وهو يجهش بالبكاء لم يكن سوى زوج قتيلة القرية الاسترالية الصغيرة

بدهشة بالغة أخذ المأمور يتأمل الرجل وهو يحتضن المرأة ويفحصها كما لو كان يعرف شيئا مايبحث عنه وكان متوسط القامة عيناه بارزتان قليلا شعره أسود منموج وأنفه طويل وأكتافه عريضة وكان من ذلك النوع الذى لابد أن يحظى بإعجاب النساء بعد أن عثر الرجل على مايبحث عنه أى تلك العلامة النفسجية الصغيرة سجد على ركبته بجانب السرير وهو يقول

لقد فارقت المرأة الحياة وكانت بالفعل لدغة عقرب الشئ غير المألوف الذى لايمكن أن يحدث ابدا فى كندا

حقيقة أن هؤلاء الناس استراليون لكن ماذا يفعل هذا العقرب فى كندا ؟

سأل المأمور الرجل هل أنت واثق أنه العقرب ؟ وبعد أن أكد الرجل وجود العقرب طلب من المأمور أن يتوقى البحث بنفسه داخل الحجرة

وكانت طريقة حديث الرجل واضحة تماما إلى درجة أن المأمور والمصور ورجل البوليس بهضوا جميعا وأخذوا ينظرون حولهم بحذر فوق السجادة وعلى الجدران وبعد أن أحس المصور أنه لم يأت للبحث عن العقرب خرج تاركا الحجرة وبعد عدة خطوات أخرى من البحث وبلا جدوى اضطر المأمور إلى الخروج من الحجرة التى أغلقها بإحكام وبشريط لاصق من الشمع الأحمر

عندما حضرت مجموعة التطهير من الجراثيم المزودة بأنابيب الغاز لتتولى عملها داخل الحجرة جلس المأمور فى البهو ليبدأ استجواب الرجل وعندما سأله المأمور عن سر هذا التأكد من أن المرأة قد لدغها عقرب قال الرجل إن زوجته عاشت فى استراليا بنفس الطريقة وأخذ يشرح للمأمور أنه كان مجرد حادث فاخر هناك حتى

ومن المحتمل ان يكون العقرب قد تسلل وسط الخضراوات أو الفاكهة

بدأت قصة العقرب هذه تثير قلق المأمور فمن الممكن أن يصدق هذا فى بلد مثل استراليا ولكن فى كندا كيف يصل العقرب إلى الدور التاسع فى مبنى وسط مدينة مغطاة بالثلوج وهنا أحس المأمور أنه لابد أن يتولى التحقيق بنفسه الأمر الذى يتطلب منه العودة ثانية إلى قصة العقرب الأول

وبينما استمر الرجل فى سرد قصة حياته انتهى رجال التظهير من عملهم بعد أن أدوا مهمتهم وقاموا بفتح نوافذ الحجرة كلها وبدأوا عملية البحث حتى عثروا فى النهاية وفوق السجادة على العقرب الذى بدا ضخما بشعر أسود اللون وشكله فظيع حتى وهو ميت أخذ المأمور يتأمله بحذر ثم ظل يفكر فى صمت وهو يقول لنفسه أليس حقا أن هذا الرجل الاسترالى يضع العقرب فى فراش النساء المرة الأولى يمكن أن تمر كحادث ولكن المرة الثانية وفى كندا فهذا مستحيل وعداه من القاتل أيضا وعاد المأمور ثانيا ليصغت إلى باقى قصة حياته

ولد هارولد فى استراليا وكان ثانى أبناء مزارع فقير أمضى أبوه فى البحث عن الذهب واليورانيوم عمرا ضائعا فى العثور على ثروة لكن دون جدوى . وأخيرا لم يجد الأب سوى الموت بعد ان لدغه ثعبان وتولت الأم رعاية طفلها وقد عمل هارولد فى بداية حياته فى صيد الأسماك ثم اتجه إلى الحمال مثل والده حيث عمل فى التنقيب أملا فى العثور على مغارة على بابا وحقيقة أن الرجل لم يعثر على كنز لكنه عثر مع ذلك على ثروة إذ التقى بزوجته الأولى التى كانت أرملة ثرية فى حاجة إلى سائق للبحث الذى تملكه إذ كانت تريد القيام برحلة إلى حوز الباسفيك وكان هارولد يعرف البحر جيدا وفوق ذلك كله طلبت الأرملة منه الزواج ولأن هارولد ذاق الفقر طيلة حياته وغرق فى الأحلام الذهبية لم يتردد على الإطلاق وتزوجها على الفور وعاشا فى سعادة تسع سنوات حتى فارقت المرأة الحياة بعد أن لدغها العقرب الأول ثم التقى هارولد بعد ذلك بوبيندا (٢٠ عاما) التى كانت تبدو أكثر من سنها بكثير ووقعت الفتاة فى غرامه وقررا الحج للاستقرار فى كندا وبفضل ميراث زوجته الأولى

تصميم محمد ابراهيم

وفى الوقت الذى لدغ العقرب الثانى امرأة كان قد فكر فى عمل مشروع كبير

بدا المأمور كما لو كان لايفهم شيئا العقرب الأول محتمل أما الثانى فمستحيل وللتأكد من أقاويل هارولد اتصل المأمور بمكتب البوليس استراليا الذى أرجع تماما عندما علم بحادث كندا لذا قرر رجال البوليس الاسترالى إعادة فتح التحقيق فى الحادث الأول وبعث المكتب الوطنى المركزى للبوليس أستراليا بأول تقاريره المفصلة المركزة عن حياة هارولد الخاصة التى لم يتحدث هو عنها أو يذكر شيئا عنها للمأمور

أولا فيما يخص زوجته الأولى فكانت حقا شديدة الثراء إلا أنه بمجرد الزواج اكتشف بخلها الشديد ووجد نفسه مرغما لأن يقدم لها الحسابات على أقل المصروفات ولأنه اعتاد تسلق الحبال كان يذهب إلى هناك مدعيا أنه يقوم بأعمال التنقيب وهناك تعرف على بعض سكان المنطقة من السود وبعد أن مرت السنون تحولت زوجته أكثر فأكثر إلى امرأة شرسة عندما يكون مزاجها معتدلا تعتذر له عن تصرفاتها بحجة أنها تعانى من سن اليأس ولم يخف هارولد على أحد أنه لم يحبها منذ البداية وأنه كان ينوى العودة ثانية إلى صيد الأسماك أما وبيندا فلم يتعرف عليها الرجل بعد موت زوجته كما ادعى لكنه كان على علاقة بها قبل الحادث بعام واحد وكان صريحا معها إذ أخبرها أن زواجه لم يكن إلا بغرض المال خاصة أن زوجته تكبره بعدة أعوام وعلى مايبدو أن وبيندا لم تهتم بذلك كله إذ كانت تعيش فى شقة تحت ارضها وعلى بعد ثمانين كيلو مترا من أهلها لذلك لم يدرك أحد حقيقة علاقتها بهارولد بعد الحادث بثلاثة شهور فقط غادرا استراليا وبعد أن حصلا على تأشيرة دائمة للهجرة إلى كندا . هذا بعد أن جمع الرجل كل تركة زوجته أما فيما يتعلق بالحادث الثانى فلم يكن هناك دليل يثبت القتل العمد وفى نفس الوقت عكف البوليس الاسترالى على دراسة ملف جريمة أخرى تمت فى نفس الفترة وبنفس المنطقة وكان الأمر يتعلق بمقتل أحد السود وهو شاب يبلغ من العمر ٢٢ عاما وقد غادر شقيق الضحية استراليا منذ خمسة عشر يوما فقط فى طريقه إلى كندا

وأمام لعبة المكعبات هذه أحس المأمور بالضياع فكل الافتراضات لم تعد محتملة سوى ما يتعلق بالحادث الأخير فلابد أن العقرب وضع وسط ملابس هارولد . وبيندا حتى هذا الافتراض كان لايريح العقل والمنطق وكل الاستفسارات الأخرى بدت مبهمة فى هذه الجريمة الأخيرة لم يكن فارولد دافع للقتل ولذا بقيت قصة مقتل ذلك الأسود فى غموض تام وعكف رجال البوليس على فتح ملف القضية من جديد حتى جاء يوم الخميعة حيث تلقى المأمور بسرعة انقلابا فجائيا فى مكتبه

كانت الساعة الخامسة بعد الظهر بعد أن هدأت العاصفة الجليدية تماما واستعد الناس للذهاب للصيد أو للترحلق على الجليد وبدأت الشمس تضئ مكتب المأمور وتوضح شحوب وجه هارولد

أوضح المأمور للرجل أنه لايحمل ضده أى اتهام ولكن من واجبه فقط أن يطلعه على آخر مايحدث به مكتب البوليس استراليا وهنا دخل رجل من السود شقيق القتيل وسأل المأمور هارولد بعرفه ؟ لقد ألقى القبض عليه صباح امس وهو يستعد لركوب الطائرة عائدا إلى استراليا

وأمام هول المفاجأة انهار هارولد تماما ولم يستطع الانكار أما المأمور فأخذ يقص عليه القصة كاملة مبينا له أنه لكى يتخلص من زوجته طلب من القتيل أن يحضر له عقربا ساما وبالفعل أعطاه له داخل علبة كبريت صغيرة بها ثقوب بعد أن وضع هارولد العقرب فى سرير زوجته وبعد أن وضع لها الأقراص المنومة قام باستدعاء الطبيب بنفسه بعد أن علم بمقتل الزوجة وبعد أن عرف أن العقرب استخدم لهذا الغرض وفى جريمة حد يساوم الزوج من أجل مبلغ من المال لذلك أسرع هارولد للتخلص منه وقتله وبعد أن استولى على تركة زوجته جاء ليستقر فى كندا ولكن فى هذه الأثناء لم يهدأ قبيلة الشاب الأسود وأخذت تبحث عنه حتى يأخذوا بثأره بنفس الطريقة ؟ وبما أن هذا الشاب الأسود كان يعمل فى احدى شركات الطيران فقد تمكن من العثور على هارولد وتردد فى أحد الأيام على وبيندا مدعيا أنه صديق حيث نجح فى التسلل إلى حجرة النوم وأطلق العقرب وسط الظلام ومن حظ هارولد أن العقرب لم يلدغ إلا وبيندا فى صباح اليوم التالى بعد أن غادر هو الفراش وبذلك كانت وبيندا هى الفريسة الوحيدة

لم تعد عينا هارولد تحتفظان بلونهما الأزرق الكئيب بدتا أكثر بروزا من ذى قبل . وأخذ يلوع ريقه وهو ينظر إلى هذا الشاب الأسود الأنيق ثم ينظر للمأمور وفى النهاية أخذ يردد بصوت خافت إنى مذنب !

ثم وقع هارولد ساحر النساء مغشيا عليه وأصدرت المحكمة على هارولد حكما اوليا بالسجن مدى الحياة وحكما آخر باستمرار حبس القتيل الشاب الأسود أما شقيق القتيل فحكم عليه بالسجن عشر سنوات وهذا بسبب القتل خطأ

نعم لأنه أخطأ ضحيته ومن الممكن أن نعتبر هذا الحكم غير عادل لكن الحقيقة الوحيدة التى تؤكد أنها كانت غلطة العقرب □